



جاءت استقالة كوفي أنان المفاجئة من مهمته ك وسيط عربي – أمريكي في الأزمة السورية لتأكيد من جديد فشل جميع الحلول الهادفة إلى وقف العنف المدمر والانتقال إلى «مرحلة الحل السياسي». وعلى رغم أن بان كي مون سيلجأ إلى تعين بديل عن أنان فإن الأمر المشكوك به هو تحقيق أي اختراق للأزمة التي انتقلت مع معركة حلب الفاصلة إلى واقع أكثر حسماً من ذي قبل.

للمرة الأولى منذ اندلاع شرارة الثورة في سورية، وبعد ما يقرب من سبعة عشر شهراً بدأ بعض العناوين يحمل نوعاً من التوصيف المحدد لما يجري ولما يمكن أن يحمله الآتي من الأسابيع والشهور. وعلى سبيل المثال لا الحصر اعتراف الرئيس بشار الأسد بأن المعارك الشرسة التي تشهدها مدينة حلب «سوف تقرر مصير الشعب السوري والأمة». وهذا يعني بوضوح أن ما ستنتهي إليه المواجهات المدمّرة في مدينة حلب ستكون له الغلبة ضمن إطار ما يُطلق عليه (الحل الأمني) واستناداً إلى المعلومات المتوفرة على الصعيدين اللوجيسي والميداني في العاصمة الاقتصادية السورية والمهمة، فإن المواجهات القائمة ستنتهي ببعض الحسم وإلى أين يتوجه مسار الثورة في سورية؟ نظراً إلى شراسة وحدة المواجهات بين جيش النظام وجيش الثورة يمكن أن نطلق على ما يجري بـ «ستالينغراد – حلب». وإذا ما عدنا إلى بدايات الانتفاضة في سورية ونتذكرة التوصيفات التي أطلقت على ما جرى وما يجري نعثر على الآتي: وزير خارجية تركيا ومنظر «الأردوغانية» أحمد داود أوغلو تخوّف من «البننة» الوضع في سورية.

وزير خارجية بريطانيا وليم هينغ يتوقع «بلقنة» الوضع فيها.

إلى آخر التوصيفات الواردة في اللائحة. ولكن تعدد التسميات والتوصيفات والنتائج واحدة وهي تلتقي كلها عند اقتراب سوريا والمنطقة من مرحلة التفتيت.

وبهذا التطور يكون مخطط «تقسيم المقسم، وتجزئة المجزأ» قد بلغ مرحلة متقدمة جداً. فيما «الفيتوات» الروسية والصينية بالجملة تقبض على الجانب الدولي من الأزمة السورية، وبات مستحيلًا التوصل إلى أي تسوية من دون الأخذ في الاعتبار (مصالح الشرق والغرب معاً)

### لماذا التركيز على مواجهات حلب؟

لأكثـر من سبب فهي ثـاني أكـبر مـدينة في سـورية ويتـطلع الثـوار إلى إـحداث عمـلية اـختـراق نوعـية بـالـسيطرـة عـلـى منـافـذ الدـخـول والـخـروـج من وإـلـى حـلب.

على أن النقطة المحورية في ما يجري هذه الأيام تكمن في السعي إلى سيطرة «الجيش السوري الحر» على خلق محطة عبور مفتوحة بين سوريا وكل وتركيا، الأمر الذي يسهل بدوره، في حال إنجازه ، عملية ترابط سوريا – تركية.

### هل نحن في مرحلة بداية النهاية للحرب المستعرة في سوريا؟

رداً على التساؤل: إن جرعة التفاؤل المتوفّرة لا تكفي باعتبار ما تشهده سوريا أوشك على النهاية، بل على العكس من المتوقـع أـن تـشـتد عـوـامـل الضـغـوط العـسـكـرـية المـتـبـالـدـة بـيـن الـطـرـفـين أـمـلـاً بـالـحـصـول عـلـى «ـحـصـةـ» عـنـدـما يـحـينـ المـوـعـدـ المـنـتـظـرـ والـذـي لا يـمـلـكـ أحدـ مـفـاتـيـحـهـ. وـفيـ خـضـمـ الأـحـدـاثـ الـجـارـيـةـ اـرـتـفـعـتـ نـغـمةـ «ـالـأـسـلـحـةـ الـكـيـماـوـيـةـ»ـ حـيـثـ يـسـودـ اـعـتـقـادـ لـدـىـ الـدـوـائـرـ الـغـرـبـيـةـ الـأـمـيـرـكـيـةـ مـنـهـاـ وـالـأـوـرـوـبـيـةـ أـنـ سـورـيـةـ تـمـلـكـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـأـسـلـحـةـ وـأـنـ الـخـشـيـةـ تـرـاـوـدـ وـاـشـنـطـنـ وـبـارـيسـ وـعـوـاصـمـ أـخـرـىـ مـنـ اـحـتـمـالـ اـنـتـقـالـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ السـلـاحـ إـلـىـ عـنـاـصـرـ خـارـجـةـ عـنـ إـرـادـةـ وـإـدـارـةـ النـظـامـ فيـ سـورـيـةـ. وـتـرـدـ فيـ هـذـاـ المـجـالـ أـنـ خـطـطـاـ تـمـ تـنـفـيـذـهـاـ وـقـضـتـ بـنـقـلـ الـأـسـلـحـةـ الـكـيـماـوـيـةـ إـلـىـ خـارـجـ الـحـدـودـ السـوـرـيـةـ وـإـلـىـ «ـحـزـبـ اللـهـ»ـ تـحـديـداـ.

وـهـذـاـ هوـ عـاـمـلـ «ـتـواـزنـ الرـدـعـ»ـ أـوـ «ـتـواـزنـ الرـعـبـ»ـ كـمـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ السـيـدـ حـسـنـ نـصـرـالـهـ فيـ خـطـابـهـ الـأـخـيـرـ لـلـأـرـبـاعـ – الـخـمـيسـ.

وـفـيـ سـيـاقـ رـيـطـ تـطـوـرـاتـ الـمـنـطـقـةـ بـعـضـهاـ بـعـضـ جـرـىـ رـبـطـ تـلـقـائـيـ بـيـنـ الـأـسـلـحـةـ الـكـيـماـوـيـةـ وـالـمـلـفـ الـنـوـوـيـ الـإـيـرـانـيـ. وـتـلـازـمـ ذـلـكـ مـعـ تـطـوـرـ لـافـتـ يـتـصـلـ بـاـحـتـمـالـ لـجـوـءـ الـإـدـارـةـ الـأـمـيـرـكـيـةـ إـلـىـ قـرـارـ مـنـ خـارـجـ إـطـارـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ، طـالـمـاـ أـنـ الـفـيـتوـ الـرـوـسـيـ هوـ الـذـيـ يـقـفـ حـجـرـةـ عـثـرـةـ دـوـنـ اـسـتـصـارـ أـيـ قـرـارـ مـنـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ.

### ومـاـ أـشـبـهـ الـيـوـمـ بـالـبـارـحةـ.

كـلـاـ يـذـكـرـ سـيـنـارـيـوـ الغـزوـ الـأـمـيـرـكـيـ – الـغـرـبـيـ الـعـرـاقـ تـحـتـ شـعـارـ اـمـتـلـاكـ صـدـامـ حـسـينـ أـسـلـحـةـ دـمـارـ شـامـلـ. وـكـيـفـ قـفـزـتـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ فـيـ عـهـدـ الرـئـيـسـ جـوـرـجـ دـبـلـيـوـ بوـشـ (ـإـيـاهـ)ـ فـوـقـ رـأـيـ المـجـتمـعـ الـدـوـلـيـ وـقـامـتـ بـعـمـلـيـةـ الغـزوـ الـمـعـرـوـفـةـ...ـ وـالـنـتـائـجـ الـتـيـ اـنـتـهـتـ إـلـيـهـاـ، وـكـيـفـ اـنـسـحـبـتـ الـقـوـاتـ الـأـمـيـرـكـيـةـ تـارـكـ الـعـرـاقـ بـلـأـمـقـطـ الـأـوـصـالـ.

هـلـ مـاـ جـالـ لـتـكـارـ السـيـنـارـيـوـ الـعـرـاقـيـ فـيـ سـوـرـيـةـ؟ـ يـصـعـبـ كـثـيرـاـ التـصـوـرـ بـأـنـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ يـمـكـنـ أـنـ تـفـكـرـ بـالـقـيـامـ بـعـمـلـ عـسـكـريـ ضـدـ سـوـرـيـةـ لـإـخـضـاعـ نـظـامـ الـأـسـدـ بـخـاصـةـ أـنـ بـارـاكـ أـوـبـاـمـاـ يـصـارـعـ هـذـاـ الـأـيـامـ لـمـعـرـكـةـ تـجـدـيـدـ رـئـاسـتـهـ لـأـرـبـعـ سـنـوـاتـ جـديـدةـ. وـمـنـ غـيـرـ الـمـعـقـولـ أـنـ يـتـورـطـ عـسـكـرـيـاـ سـوـاءـ فـيـ سـوـرـيـةـ أـوـ فـيـ إـيـرانـ كـمـ يـشـيـعـ بـقـاـيـاـ (ـالـمـحـافـظـيـنـ الـجـدـدـ)

فـيـ الشـهـرـ الثـالـثـ مـنـ الـأـزـمـةـ الـسـوـرـيـةـ كـتـبـنـاـ عـبـرـ هـذـاـ الـمـنـبـرـ بـالـذـاتـ مـاـ يـأـتـيـ:ـ «ـإـنـ أـمـامـ سـوـرـيـةـ الـخـيـارـاتـ الـآـتـيـةـ:ـ الـاـتـجـاهـ نـحـوـ حـرـبـ اـسـتـنـزـافـ،ـ أـوـ جـنـوحـ نـحـوـ حـرـبـ أـهـلـيـةـ،ـ وـإـلـأـبـغـضـ الـحـالـ الـتـقـسـيـمـ»ـ.ـ إـنـاـ بـالـتـطـوـرـاتـ تـفـضـيـ إـلـىـ سـقـوـطـ سـوـرـيـةـ فـيـ كـلـ هـذـاـ الـأـنـوـاعـ مـنـ الـحـرـوبـ دـفـعـةـ وـاحـدةـ.

عـلـىـ أـنـهـمـاـكـ الـمـنـطـقـةـ وـالـعـالـمـ بـمـاـ يـجـريـ فـيـ سـوـرـيـةـ لـاـ يـعـنـيـ حـصـرـ أـخـطـارـ ماـ يـجـريـ فـيـهـاـ عـلـىـ الدـاـخـلـ السـوـرـيـ بـلـ عـدـدـ

من دول الجوار وفي الطليفة لبنان والأردن.

وإذا كان لبنان طرح شعار «النأي بالنفس» فهذا لا يكفي لتجنيبه أخطار البركان السوري وحممه المتطايرة في غير اتجاه. وهذا ما يحتم على كل اللبنانيين من دون أي استثناء إدراك أخطار الإعصار السوري المدمر والارتفاع في الممارسات الوطنية إلى مستوى ما يجري. ومن المفارقات التي أظهرها اندلاع النيران السورية ملاحظة ما يأتي:

عند قيام حرب العراق كانت الحدود السورية – العراقية نقطة عبور للمقاتلين من سوريا إلى العراق. ومعروفة تلك القصة حول ما دار بين الرئيس بشار الأسد، ووزير خارجية الولايات المتحدة كولين باول. وفي هذا اللقاء حاول باول أن يمارس الضغوط المختلفة على سوريا وضرورة ضبط الحدود مع العراق، وعدم السماح لـ «الإرهابيين» العابرين من سوريا إلى العراق.

وكان رد الأسد على باول: بينكم وبين المكسيك حدود متراوحة الأطراف، فهل تمكّنتم من ضبط التنقل عبر هذه الحدود من مهربى المخدرات وغير ذلك من الممنوعات؟ والآن يجري العكس: هناك «هجرة» معاكسة من «الإرهابيين» من العراق باتجاه سوريا للانضمام إلى الجيش السوري الحر والعمل على تقويب أجل نظام الأسد.

ومفارقة أخرى: خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز من عام 2006 شهدت في المناطق اللبنانية على اختلافها هجرة شعبية جماعية اتقاءً من القصف الإسرائيلي المجنون. وتوجه الكثير من اللبنانيين المقتدرین إلى دمشق فرفعوا نسبة الإشغال في الفنادق والشقق، والآن تحدث الهجرة المعاكسة، هجرة السوريين من دمشق وغيرها، إلى سائر المناطق اللبنانية. ويشير تزايد أعداد اللاجئين عبر الحدود الشرعية وغير الشرعية مخاوف لدى السلطات اللبنانية من أن تتحول كثافة الرعایا السوريين الهاجرين من جحيم المعارك في سوريا، إلى أزمة لاجئين جديدة، قد تتحول في ما بعد إلى إقامة المزيد من المخيّمات على غرار المخيّمات الفلسطينية.

وبعد... كل الذين راهنوا على أن نظام بشار الأسد سيسقط في وقت مبكر بعد اندلاع الثورة، أكدّت التطورات أنهم كانوا على خطأ. لذا، يتطلب الوضع الحالي إجراء مراجعة عميقة وشاملة لتصحيح «مسار الثورة»، وهذا الأمر ينطبق على الدول المجاورة لموقع الحدث، وهذا ينطبق على القوى الكبرى لذا، يحتم الوضع السوري المأزوم على القوى المتدخلة والمتدخلة فيها إجراء عملية تقويم لكل ما جرى حتى الآن وما هي الرؤى المستقبلية للأزمة القائمة، وكيفية التفاهم على منطق الأمور عبر التوافق على تقاطع النفوذ والمصالح.

أكّدت التطورات أن النظام لم يتمكّن بعد من حسم هذه الثورة التي قامت بوجهه، وفي المقابل لم تتمكن قوى المعارضة من فرض سيطرتها.

المصدر: أخبار الثورة السورية

المصادر: